العرب
الإثنين 2020/01/27
السنة 42 العدد 11599

قوة غامضة تحيل حياة أسرة إلى جحيم

«لون خارج الفضاء» فيلم عن إشعاعات تنشر الهلع في قرية نائية

تبدو قصص الكائنات الفضائية والجوانب الغرائبية ومتعة الصراع والمغامرة علامات مميزة ومثيرة لدى صنّاع السينما. هذه الثيمات التي تقوم أساسا على فكرة الصراع ما بين الأرضيين والفضائيين اختلطت فيها مواصفات فيلم الخيال العلمي مع فيلم الحركة والعنف والجريمة وصولا إلى الرعب.

طاهر علوان
كاتب عراقي مقيم في لندن

تحفل العديد من أفلام الخيال العلمي بالعديد من الصراعات والصدامات بين الفضائيين والأرضيين، ليظهر الفضائيون في مظهر القوة القاهرة التي تمتلك أدوات فوق طاقة البشر تضمن لها النصر في أغلب الحالات، ما عدا ذلك النوع الذي يتم فيه إطلاق مهارات افتراضية للشخصية الرئيسية بامتلاكها صفات خارقة.

ولا يبتعد الفيلم الجديد "لون خارج الفضاء" للمخرج ريتشارد ستانلي وبطولة النجم العالمي الشهير نيكولاس كيج عن هذه الثيمة، حيث اختار المخرج قصة للكاتب أج بي لوفكرافت ليتم إعدادها سينمائيا بما يتوافق وفكرة الصراع بين الأرضيين والفضائيين. فهل وفق في ذلك؟

مكانيا، نحن أمام عائلة مكونة من زوج وزوجته وثلاثة أبناء يعيشون في منزل ريفي ورثوه مؤخرا، وسط بيئة معزولة وشبه منقطعة عمّا حولها بسبب كونها منطقة زراعية. في وسط ذلك سوف ننتقل إلى الاكتشاف والمغامرة من خلال الابنة لافينيا (الممثلة مادلين آرثر) التي يمكن النظر إليها على أنها تعيش عالما خاصا بها، فهي تنخرط في ما يشبه الأعمال السحرية، في محاولة منها، ربما، لإنقاذ أمها التي ضرب صدرها المرض الخبيث.

هذه الشخصية المحاطة بالرموز الغريبة والرسومات تبدو وكأنها تعيش عالمها الخاص، بدليل أنها ليست على وفاق مباشر مع والديها، وخاصة مع والدها، وهي تتدرّج في تلك الشعوذات حتى تنزوي مستغرقة فيها.

ناثان (الممثل نيكولاس كيج) ليس في أحسن أدواره في هذا الفيلم، فهو إنسان إيجابي يعيش على الخيال من خلال عملية الرسم، وهو يتعاطف مع أسرته وخاصة الزوجة التي خرجت للتو من حالة المرض الخبيث في الصدر.

في المنزل الريفي الذي حرص الأب على تطويره وتجميله، يقع في واجهته الخارجية ما لم يكن في الحسبان، إذ انطلق ضوء شديد القوة متزامنا مع برق ورعود، ليهبط جسم فضائي غريب، ولهذا لن يتورّع الخصوم عن التفاعل مع الحدث ضانين أنه مجرد حجر أو نيزك هبط من السماء، لكن ما لم يكن مُنتظرا أن هذا الجسم سيولّد فيهم الفزع ويحوّل حياتهم إلى جحيم.

في المقابل سوف يحاول ناثان أن يؤسّس وعيا مُختلفا مُسالما من منطلق كونه رساما، وأنه معني بسلامة أسرته بالدرجة الأولى، في مواجهته لهذا الجسم المشعّ باللون الوردي والقابل لإيذاء أشخاص محددين وذلك بعد استدراجهم.

وجود الممثل الشهير نيكولاس كيج أعطى دفعة قوية لهذه الدراما الفيلمية وهو الذي سعى للارتقاء بها من خلال دور هادئ ومسالم، لكن طبيعة دوره والمعالجة الفيلمية التي رسمها المخرج جعلتا كيج أسير دور ليس فيه الكثير ممّا يمكن الارتقاء به دراميا.

> العمل يستند إلى رواية للكاتب أج بي لوفكرافت، لم ترتق فيها الأحداث إلى جماليات أفلام الخيال العلمي الناجحة

ولا شك أن المشاهد كان في حاجة إلى تصعيد حاد في الدراما الفيلمية يقنعه بأنه أمام فيلم يناقش قضية إقدام الفضائيين على الاختطاف أو التخريب، لكن ما شاهدناه كان مقاربة تبدو سطحية وليست مبهرة وتتمثل في إطلاق الفضائيين لأشعة ليزرية سوف تتسبب لاحقا في إصابة الأم وأحد أبنائها الثلاثة وقد التصقا ببعضهما البعض حتى صار إنقاذهما هو التحدي الكبير الذي لا بد منه.

في المقابل، كان هناك مسعى لتقديم فيلم خيال علمي مختلف، لاسيما وأنه مأخوذ عن قصة خيال علمي لكاتب ذي صيت، لكن في هذه المرة لم يكن متوقعا أن يكون ناثان هو الذي سيتوصّل إلى الحقيقة من خلال محاولته إنقاذ أسرته، محاولة بدت باهتة في مقابل الشكل الكلاسيكي لمعالجة قضية الغرباء القادمين من الفضاء الخارجي.

لا نعرف من خلال أحداث الفيلم إن كان هذا الهجوم من قبل الفضائيين شمل كل سكان البلدة، وهل أصابهم ما أصاب أسرة ناثان، أم أن الهجوم طال أفراد أسرة ناثان فقط، فلماذا هم دون غيرهم المستهدفون؟

في موازاة ذلك، كانت هناك خطوط سردية أراد من خلالها المخرج الذهاب بنا بعيدا عن النقطة الجوهرية في هذه الدراما، ومنها مثلا الطقوس التي كانت تؤديها لافينيا والتي تقترب من الشعوذة والتي يكتشفها شاب يعمل في إحدى المؤسّسات التي تعنى بالمسح الجغرافي للمكان.

ثم كانت هناك شخصية الأم المصابة بالورم الخبيث، وهي تحاول أن توجد زبائن لها من خلال الإنترنت، وفي الوقت نفسه كيفية المحافظة على أسرتها أمام تلك العواصف التي سرعان ما تطوّرت إلى كارثة على جميع المستويات من خلال قصف الفضائيين واستهدافهم الأم وابنها.

هشاشة المعالجة في هذا المحور بالذات لم تتح ما يكفي من أفعال لإقناعنا بأن ما يجري هو بفعل أولئك الفضائيين الغرباء الذين ظلوا يستهدفون تلك العائلة دون غيرها، وهو ما لم نجد له تفسيرا، فضلا عن أن الأفعال امتدت عموديا ولم تكن هناك حبكات ثانوية قوية ترتقي بتلك الدراما وتجعلها أكثر إقناعا.

عائلة تواجه مصيرا غامضا

«حكايات وأساطير»: بناء الذات في عالم مستقبلي

"حكايات وأساطير" للمخرج الفرنسي جويل بومرا هي عمل تخييلي استباقي عن بناء الذات في سن المراهقة، وأسطورة المخلوق الاصطناعي، يصوّر فيه عالما مستقبليّا يتعايش فيه البشر والروبوتات، ولاسيما شباب الغد في ظل الثورة الرقمية.

أبو بكر العيادي
كاتب تونسي

بعد "سوف تتحسن الأمور، نهاية لويس" التي استوحاها من أهزوجة شعبية راجت عند اندلاع الثورة الفرنسية، عاد المخرج الفرنسي جويل بومرا إلى الأشياء الحميمة، كالأسرة وما تواجهه من صعوبات لتربية أطفالها، وخاصة في المرحلة الانتقالية الحرجة التي تمثلها المراهقة، في عصر غير عصرنا هذا، لأن الروبوتات هنا متطوّرة بشكل لم يبلغه التطوّر العلمي بعد.

لم تكن غاية بومبرا الاشتغال على انحرافات الذكاء الاصطناعي أو تصوير ثورة الآلات كما تداولتها مرارا روايات الخيال العلمي الاستباقي، بل بحث عن مدخل جديد ينظر إلى إمكانية وجود هوية الإنسان الآلي موضع مساءلة. هل هو روبوت أم شخص اصطناعي، لشدة شبهه هنا بالذات الإنسانية حتى في بعده الوجداني؟ وما هي التغييرات التي يُحدثها هؤلاء الرفاق بشريّو الهيئة على سلوك البشر؟ وهل يقترب الإنسان أحيانا من الآلة؟ وما هي الحدود بين العلاقات الصادقة والعلاقات الكاذبة، بين الحقيقي والمزيف، بين الطبيعي والمكتسب؟ وكيف تُبنى هويّاتنا ونظرتنا للآخر؟

> المخرج الفرنسي جويل بومرا يضع في عرضه المسرحي التخييلي الاستباقي هوية الإنسان الآلي موضع مساءلة

عشر حكايات قصيرة مُمسرحة تستعرض مختلف التفاعلات بين الكهول والمراهقين والروبوتات، ويعمل الشكل واللغة والأداء داخلها على احتضان تلك الجدليات الميتافيزيقية بأسلوب مُمتع، ومعالجتها من شتى أوجهها. حكايات أبطالها روبوتات من آخر دفعة، تتخذ لها مكانا في صالون عائلي. أحدها، واسمه ستيفن، وسيم أشقر شقرة تقارب البلاتين، باسم الثغر لطيف، استأنس به ربّ الدار وزوجته فعهدا له بالسهر على راحة أبنائهما، خصوصا أنهما غالبا ما يغيبان عن البيت.

وسرعان ما نكتشف أن الروبوتات التي تتنقل على الخشبة تختلف عن الوحوش التي تزخر بها أفلام الخيال العلمي، فهي شبيهة بالإنسان في ملامحها وحركاتها حدّ التماثل، لولا أنها صنعت وبرمجت لتكون في خدمة أطفال يعانون الوحدة، فبدت مهذبة مطيعة، تأتمر بأوامرهم، حتى وإن كانت تلك الأوامر مشوبة أحيانا بالسخرية والكلام البذيء.

وفي ذلك إدانة من بومرا، كاتب النص ومخرجه، لما تشهده الأوضاع الاجتماعية اليوم، ليس في فرنسا وحدها، بل في سائر البلدان الغربية، من انحراف شبابي، في غياب الأهل أو تفَصّيهم من المسؤولية لسبب أو لآخر.

ولئن بدا الشبه كبيرا بين البشر والآلات هنا، فإن ما يفصل بين الطرفين السلوك والكلام، فالانفعال والفظاظة والسماجة تتبدى في سلوك المراهقين، فيما تتّسم الروبوتات بالرصانة واحترام القواعد وتجنب النزاع. ومن خلال تلك الفوارق والعلاقات الأسرية المتوترة، تعالج المسرحية معنى الكلام، كأداة امتثالية، ورجع صدى لضيق الإنسان المعاصر، وتعبير عن سورة غضب، وتُقدّم صورة عن عيوب الإنسان، الموزّع بين رغبة بلوغ الكمال والنجاعة وبين النقائص التي تسم سلوكه وخطابه، والتي قد يحتاج لتقويمها إلى روبوت يصنعه ويبرمجه بنفسه، وذلك منتهى المفارقة.

ولكن ذلك لا يمنع من نشوء علاقات بين تلك الروبوتات المهذبة والمراهقين المتنطعين، فالروبوت يقوم مقام الولي في مرافقة الأطفال إلى المدرسة، ويساعدهم على أداء واجباتهم أداء لا يشوبه خطأ، لأنه مبرمج، وذاكرته قوية لا تعرف الأخطاء. وهو مبرمج أيضا كي يكون ذكرا أو أنثى، فالجسد في نظر بومرا هو وسيلة تعبير له ما للكلمات من قدرة ونجاعة.

ومن ثَمّ اختار أن يقدّم روبوتاته ككائنات قريبة جدا من البشر من جهة الوجه والجسد والتخاطب لكي يجعل التواصل عفويا شأن مختلف الكائنات الاجتماعية، واستعاض عن أجساد الروبوتات كما روّجتها الأشرطة المصوّرة بأجساد واقعية إنسانيا. مثلما اختار لتقمّص أدوار مسرحيته ذات اللوحات المتعدّدة أطفالا، من ذكور وإناث، درّبهم طيلة ستة أشهر، لكي يضمن أداء يلبّي ما يروم تحقيقه. واكتفى من الديكور بأضواء بيضاء وسوداء تتمازج وتتوارى عند المرور من حكاية إلى أخرى، ما أضفى نوعا من السكون يهيّئ الجمهور لحلقة لاحقة، وإن غاب عن الحلقات كلها خيط رابط ينمّي أحداثها.

ولئن كان المنطلق حسب بومرا هو الطفولة ومستقبلها في الأعوام القادمة، فإن عمله يصوّر أيضا التباس أنماط الحياة والحقيقة بين كائن طبيعي وكائن اصطناعي، ولو أن الإنسان هو الذي أوجده وصنعه على هذه الصيغة أو تلك.

عشر حكايات أبطالها روبوتات من آخر دفعة

شبهة التزوير

فاروق يوسف
كاتب عراقي

رسم النرويجي إدفارد مونخ لوحته "الصرخة" أربع مرات. سرقت واحدة منها أربع مرات. أشك أن اللوحة التي تمت استعادتها حقيقية. ليس ذلك مهما. السؤال هو لِمَ رسم مونخ لوحته أربع مرات كما لَو أنه يقلد أصلا ضائعا؟

ذات مرة اعترف لي رسام عراقي كبير أنه قام بإعادة صنع واحدة من لوحاته التي قُدّر لها أن تختفي. لم يكن يفعل ذلك بناء على رغبته بل لأن اللوحة الأصلية كانت قد نالت إعجاب أحدهم من ذوي النفوذ المالي.

كان صاحبي يشعر بالندم لأنه قلّد نفسه بطريقة فجّة. قال لي "غير مرة شعرت بالفشل. الأمر الذي جعلني أفكر بالمشقة التي يعاني منها مزوّرو أعمالي". لم يكن رأيه صحيحا؛ ذلك لأن مزوّري أعماله لن يقعوا تحت سؤال الضمير الأخلاقي والفني.

أعود إلى مونخ الذي رسم لوحته من غير أن يغيّر فيها شيئا. كان يقلّد نفسه بطريقة محكمة كما لو أنه يرسم اللوحة لأول مرة. ما الذي دعاه إلى أن يقوم بذلك الشيء؟ لا بد من أن مونخ كان مضطرا للقيام بذلك.

هي أعظم لوحاته وإن لم تكن كذلك يومها. غير أني أتوقّع أن مونخ كان على يقين من أنه لن يرسم لوحة أعظم منها. لذلك قرّر أن يمتّع نفسه بإعادة رسمها. في كل مرة رسمها حاول أن يجد شيئا مختلفا غير أن النتائج كانت محبطة. فرسام عاش حياة محبطة لا بد أن يعود إلى النتيجة نفسها.

عليك أن تبدأ من جديد. قال لي صاحبي الرسام العراقي "يمكنني أن أميّز ذلك العمل الذي قمت من خلاله بتقليد عمل أصلي باعتباره عملا مزوّرا من بعيد". أفكّر في رسامين لا يبالون وهم يعيدون رسم رسوم سبق وأن رسموها لا لشيء إلا لأنهم لا يملكون سوى أن يفعلوا ذلك. إنهم يكرّرون ما فعلوه مُعترفين في كل لحظة رسم بأنهم محترفو تزوير. لقد فعلها صاحبي مرة واحدة وندم.

إدفارد مونخ رسم لوحته «الصرخة» أربع مرات